الله

وفلسفة الوجود

منذ مدة غير بعيدة كتب الأستاذ العقاد مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان « عقدة فلسفة » (أو ما هو بهذا المعنى) ثم أصدر كتابه عن الله . وفيه بحث مستفيض عن الوجود منذ شرع الانسان قديماً يفكر في سرّ الوجود الى يومنا هذا . فقد استعرض فيه أقوال السحرة والكهنة والحكماء والفلاسفة والفقهاء واللاهوتيين والعلماء المتقدمين والمتأخرين . فما أغفل نظرة تناظر في أصل الوجود ، وخالق الوجود ومدبر الوجود ، ولا أهمل عقيدة لمعتقد أو حكيم أو كاهن أو فكرة لمفكّر أو فلسفة لفيلسوف أو رأياً لعالم . سرد جميع نظريات البشر في موضوع الله والوجود وعجمها . وما أكثرها نظريات وما أعقدها تراكماً وما أعدها تضارباً ، وما أشقها تحليلاً وتصريفاً ، وأصعبها تعبيراً

الوجود وسبب الوجود كانا ولا يزالان حيرة هذا الانسان منذ تفتحت بصيرته وبدأ عقله يتعقل وذهنه يستنير بنور الهدى ، ووجدانه يتعجب بعجائب هذا الكون ومدبر حركته

عجائب حركات هذا الكون طرقت باب كل عقل ، وحاولت بعض العقول تفسيرها بكل ما أوتيت من علم سابق وقوّة تفكير حاضر . ولكل ذي فكر رأي فيها خاص به . فتعددت الأفكار والنظريات في هذا الموضوع بتعدّد المفكرين . فلا ترى مفكرين أو نظريتين أو عقيدتين متوافقتين .

لا نستطيع أن نستخرج من توالي المباحث في أصل الوجود ، وتعاقب العقائد في حقيقة الله تعريفاً لله ومعرفة لصبة الوجود إليه .

ما هو الله ؟

لكل قبيل من الناس ، الآلهة ، ولكل قوم في كل عصر الآلهة . الله المصريين الفرعونيين شيء ، والله البابليين شيء ، والله الاسرائيليين شيء الخ . حتى الله الاسرائيليين لعهد موسى هو غير الله اليهود اليوم .

كان الله الإسرائيليين إنساناً عظيماً يكلم موسى على جبل الطور . ويمكن أن يستدرك

هذا القول بأن هـذا التكليم مجازي . فما هو إلاّ إيحاء . ولكن ما قولك بأن الله كتب بأصبعه وصاياه على اللوحين الحجريين مرتين . وكان في جبال نبو جنوبي القدس بعثة أميركية يهودية تبحث عن تابوت العهد الذي يتضمن هذين اللوحين في احدى المغاور حيث خبأ أرميا ذلك التابوت من وجه نبوخذ ناصر الذي فتح القدس وساق اليهود مسبيين الى بابل .

كانت هذه البعثة بعد الحرب الكبرى السابقة تبحث عن هذا التابوت لأنهم يقولون إن الله لا يسمح بعودة اليهود الى فلسطين ما لم يجدوا تابوت العهد هذا. والى اليوم لم يجدوه .

هذا هو الله الاسرائيليين . وكان اللهيم قائد جيش الاسرائيليين الأعلى (جنرالیسّمو) وقد لقبوه يَهْوَه رب الجنود . وكان يقودهم في الحرب تلقاء الأمم المجاورة لهم .

والله عند الكتابيين الآن يختلف باختلاف عقائدهم الدينية . فهو عند اليهود الآن أرق قليلاً مما كان ، ولعله أصبح أقرب الى الروح منه الى المادة . وعند المسيحيين في وحدانيته التثليث . وعند المسلمين هو الله الواحد الأحد الذي لا شريك له .

وقدرة الله وارادته في الأديان الثلاثة تختلفان بعض الاختلاف من حيث شأنهما في الحرية والاختيار والمعجزات والقضاء والقدر الخ .

وفي كثير من العقائد ترى الله عقلاً أو ذاتاً عقلية . والراجح أنه صائر في المستقبل الى انه فكرة سامية في عقول الأنام .

ولا أدلّ على جهل الورى حقيقة الله وصفاته من اختلافهم فيها واحتدام نقاشهم بدأنها حتى اضطرامهم في الحروب بسببها .

اثبات وجود الله

كم حاول اللاهوتيون والفلاسفة ان يثبتوا وجود الله بالبراهين العلمية والمنطقية فكانت براهينهم تترنّح تحت وطأة النقد .

لا يثبت وجود الله ولا تظهر حقيقته بالبراهين العلمية ولا بالفلسفة والمنطق . ولا تنحصر معرفته بالفلاسفة والحكماء . وإنما يثبت وجود الله بالهدى والايمان لأي إنسان، عالماً كان أو ساذجاً ، وقد قالها القرآن الشريف بصراحة ووضوح : —

« من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً » . « إنك لا تهدي من أحببت . ولكن الله يهدي من يشاء »

« قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء »

« ما كان لنفس ان تؤمن إلاّ باذن الله »

« قل ان الهدى هدى الله »

وكثيرٌ من أمثال هـذه الآيات التي تدلك على ان الله لا يعرف بالفلسفة والعلم . وإنما يهتدى إليه باذنه تعالى ومشيئته فقط . لا بثبت بالوعي والوجدان .

وفي رسالة بولس الرسول لأهل رومية الاصحاح الثامن والعدد ٢٩ — ٣٠ ما يؤكد لك ان الله منـذ الأزل عيّـن المؤمنين وعين الجاحدين : — « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم .... والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً . والذين دعاهم فهؤلاء برّرهم أيضاً . والذين برّرهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » .

اذاً فما فائدة اجتهاد العلماء والفلاسفة واللاهوتيين في اثبات وجود الله لاناس لم يأذن الله لهم بالإيمان ولم يهدهم الله ، ولم يسبق الله أن عينهم للايمان وبرّرهم منذ الأزل

تقرأ في سياق مباحث الأستاذ عن محاولة أولئك الفلاسفة تعريفاً لله واثباتاً لوجوده فترى فيها من السخافات ما لا يقوم على منطق سليم ولا يصدر عن ذهن صاف وعقل مستقيم

واذا كان في رأي بعض الفقهاء انه « لا يعرف الله غير الله » فكيف يستطيع الفلاسفة أن يعرفوا ويمرّفوا ما يستحيل أن يقع في دائرة حكمتهم وفلسفتهم . ولماذا اعتاف الفكر في هذا الاجتهاد ؟ .

الله هداية لا فلسفة .

الوعي الكوني

أستأذن الأستاذ في أن اشترك معه في البحث عن بعض المواضيع لعلّ في هذا الاشتراك حافزاً لفريق من القراء الى البحث والتفكير في موضوع جدّ خطير .

ملاحظة طفيفة — الوعي كلمة طرأت حديثاً على اللغة العربية في مباحث الفلسفة العقلية أو علم العقل . وهي تقابل في نظر علماء هذا العصر كلمة Consciousess الانكليزية ، ولكن الكلمة العربية في عرف علماء العقل القدماء لهذا الشيء «الوجدان» ومعناها «أن تدرك أنك تدرك وانك موجود » . « والوعي » في معجمات اللغة مصدر الفعل « وعى » بمعنى احتوى . فاذا كان المجمع اللغوي يقررها لذلك المعنى فلا بأس بها . وانما نريد اصطلاحاً مقرراً يجري عليه جميع العلماء والكتاب

يريد الأستاذ أن يقول إن ادراك الانسان للوجود ادراك وجداني — ادراك « بالوعي الباطني » كالغريزة والسليقة . أي ان هذا الادراك من طبيعة الخلق البشري . والأستاذ لا يسلم بتعريف الشيء الموجود بانه « الشيء الذي ندركه بالحواس أو بالعقل أو بالبصيرة » لأن هذا التعريف يطلق في نظر الأستاذ وجود الشيء على مدركه . وبرفضه لذلك يصبح الشيء غير موجود اذا كان المدرك غير موجود

وفي رأيه ان الموجود يعرف بأنه « غير المعدوم »

أني لأجل الأستاذ الكبير عن الاقناع بهذا المنطق الكلامي.

أي معنى تفيده عبارة « غير المعدوم » زيادة على « الموجود » . أليست عبارة « غير المعدوم » مرادفة لكلمة « الموجود » لا مفسرة لها ؟ بل أليست كلمة « موجود » أوضح من عبارة « غير المعدوم » ؟ أنعرف الشيء بما هو أخفى منه ؟ وماذا نستفيد من القول « ان ما ليس بمعدوم فهو لا محالة موجود » ؟ أما هو تحصيل أقل من الحاصل ؟ وهل المعدوم وجود ؟ . وما لا وجود له كيف تعرف به وكيف تجعله أداة تعريف ؟ !

ثم يسترسل الأستاذ في مثل هذا المنطق الى أن يقول : « من الواجب ان نسلم بقيام موجودات لا تحيط بها الحواس والعقول يعني موجودات مجهولة ، لأن انكارها جهل لا يقوم على دليل . ولأن وجودها يمكن وليس بالمستحيل ، بل هو ألزم من الممكن (كذا) على التحقيق »

بالله ما هي هذه الموجودات المجهولة التي يشير اليها الأستاذ ؟ والتي يمكن وجودها ولا يستحيل ؟ لأن كان يعرف موجوداً يجهله غيره فليس هذا بمجهول لأنه يوجد شخص يعرفه وهو الأستاذ . فليعرفنا الأستاذ به وليقل لنا ما هو ؟ وان كان حسنا أو عقلنا يدلنا عليه فما هو بمجهول أيضاً .

هل المجهول تعريف ؟ هو كالمعدوم الذي استخدمه آنفاً لاثبات الموجود . فله إذن أن يقول : إن المجهول هو غير المعلوم . فاذا يفيدنا هذا القول عن المجهول ؟ أم انه يفرض فرضاً موجودات لا دليل حسي ولا عقلي عليها ، وينهاك عن أن تنكرها ائلا تكون جاهلاً ويحي ؟ أنكر ماذا ؟؟؟ أأنكر وجود المجهول ؟ أي مجهول هذا ؟ وهل للمجهول وجود ؟ أعني المجهول المطلق الذي يجهله كل عقل.

هذا هو منطق الذين يتطوحون في الفروض الى ما وراء الطبيعة .

مثال ذلك يقولون : لا تستطيع أن تنكر وجود الكهربائية أو المغنطيسية إذا كنت تجهل ماهيتها . أجل ليس ضرورياً أن أعلم ماهيتها لكي أعترف بوجودها . يكفي أن أعرف مفاعيلها الدالة عليها لكي أقر بوجودها . كذلك « الحياة » لا أعرف سرها ولكني لا أستطيع أن أنكر وجودها لأني أرى مفاعيلها من ولادة ونمو وتوليد وموت . ولأني أشعر وأعرف أني انا حي .

وقد تقول لي : يجب أن نسلم بوجود عالم آخر وراء هذه العوالم التي نشعر بوجودها بواسطة حواسنا وعقولنا وأدوات رصدنا . ولا نستطيع أن ننكر ذلك العالم المفروض وان كنا لا نشعر بشيء من أعراضه ولا نحس بوجوده بمشاعرنا وأدوات رصدنا .

وأنا أسألك بدوري . ما هو هذا العالم الذي تفرضه ؟ أن كان من طبيعة عوالمنا هذه فخواصه كخواص عوالمنا هذه من حركة واشعاع الخ . وإذن فلا بدّ أن نحسّ به بواسطة حواسنا وبراصدنا مهما توارى وبعد . وإذن أيضاً فلا بد أن يكون من جملة عوالمنا فهو موجود بوجودها . وإن كان بعيداً من عوالمنا بحيث لا تصل إليه مشاعرنا وأدوات رصدنا ، فكيف عرفته أنت ؟ وإن كنت تفرضه قياساً على العالم الموجود فأنا أظل أنكره الى أن تأتيني بدليل محسوس على وجوده . وإلاّ ففي امكاني أن أفرض ألف فرض ولا دليل حسي عليها وأقول لك لا تستطيع أن تنكر وجودها

وإن قلت أن عالمك المفروض يختلف عن عوالمنا التي نحس بوجودها يختلف بخواصه عنها كل الاختلاف فلا تقع خواصه تحت حواسنا ، ومع ذلك توجب علينا أن نعترف بوجوده . فأسألك هل تستطيع أن تصف هذا العالم المجهول ولو بصفة واحدة مدركة حسّاً وعقلاً ؟ طبعاً لا تستطيع أن تصف المجهول وإنما أنت تفرضه فرضاً

إذن فلك أن تفرض ما تشاء من فروض مجهولة غير محسوسة وغير معقولة وأن توجب عليّ أن أسلم بوجودها وتحظر عليّ انكارها . ولكن بكل أسف أقول ليس لك هذا السلطان أن تفرض وتحتم بالتسليم .

وقد تأتيني بمثل لفرض لا دليل عليه والعلماء فرضوه ويسلمون بوجوده وهو الأيثر . فهو فرض غير أكيد الوجود . نعم انه فرض لا دليل ايجابي عليه . ولكنه يفسر كثيراً من ظاهرات الطبيعة . وكثير منها لا يفسر إلاّ بفرضه كالامواج الكهرطيسية التي تقتضي وجود شيء متموّج هو الايثر المفروض ، ولكن لا دليل على وجوده إلاّ هذا الدليل السلبي . ومع ذلك ينكر بعض العلماء وجوده . وبعضهم يقولون لا غنى عنه وان كنا لا نجد دليلاً حسيّاً عليه . وما فرضناه إلاّ لكي نفسر به الظاهرات الطبيعية . فهو كالكمية التي تضاف الى جانبي معادلة جبرية لكي يسهل حل القضية الرياضية بها . فالكمية تسهل الحل ثم تخرج من المعادلة كما دخلت من غير أن تفسدها . أو هو كالوسيط الكيماوي الذي يستخدم للحل والتحويل والتركيب ثم يخرج كما دخل ، كالماء مثلاً الذي يستخدم في استخراج الايثر الكيماوي من الكحول (السيرتو) ثم يخرج كما دخل

هكذا الايثر الكوني يدخل في تفسير الظاهرات الطبيعية ثم يخرج منصوراً . وعلى الرغم من فائدته العظيمة هذه في التفسير والتعليل ينكر العلماء وجوده لأنهم لم يستطيعوا اثباته عملياً أو معملياً بالبرهان المادي . فاذا كان هذا هو شأن الايثر الكوني الذي هو بركة ونعمة للعلوم الطبيعية وقد أنكروا وجوده ، فما تقول بالمجهول الذي لا دليل على

وجوده لا حسي ولا عقلي ولا بواسطة كالوسيط السكي في الجبر وكالوسيط الكيماوي في الكيمياء؟

أوليس غريباً أن يقول الأستاذ لنا « إن انكار الموجودات التي لا تحيط بها الحواس ولا العقول جهل لا يقوم عليه دليل » بالله ما معنى هذا القول: ليس في الدنيا شيء يثبت نفسه بنفسه (Self Evidence) مثل الجهل . ثم كيف نعرف بوجوده اذا لم تحط به حواسنا وعقولنا ؟

كيف تطلب يا أستاذ من المنكر بينة . وفي الفقه العالمي « البينة على المدعي وما على المنكر الاّ اليمين — أو الايمان » .

نعود الى الوعي الكوني

غرض الأستاذ أن يقول لنا إن هناك موجودات نعرفها بالفطرة أو بالغريزة أو بالبديهة وما الى ذلك ، فلا ضرورة للحس والعقل لادراكها .

كذلك يستنكر الأستاذ أن نعرف الموجود « بالشيء الذي ندركه بالحس أو بالعقل أو بالبصيرة » . ويريد أن يجعل الوجدان الكوني أو « الوعي الكوني » وحياً أو على الأقل معجزة طبيعية في الانسان . يعني أن معرفة الوجود خلقة فينا أو بديهة في الانسان . لانه ما دام الموجود غير معدوم فهو موجود . ولأن الأستاذ يخشى أنه إذا كان كائن لا يحس ولا يعقل وليس بذي بصيرة ينتفي الموجود من الوجود بتاتاً متى كان لا يحس بوجوده .

طبعاً اذا لم يكن ثمت عاقل يحس ويعقل ويستنتج فلن يكون الوجود موجوداً . يكفي أن يكون الأستاذ وحده، وإن أمكن أن أكون أنا أيضاً معه — موجودين بحسنا وعقلنا لكي يعتبر الوجود موجوداً . وإلاّ فلا وجود ولا موجود ما دام لا حسّاس يحس ولا عقل يتعقل ويستنتج دليلاً على وجود الموجود . والأستاذ يريد أن يثبت الوعي الكوني من غير حسّ وتعقل لكي يقول إن الله موجود بالبديهة أي الوعي الكوني .

الحق انه لا غنى عن حواسنا وعقولنا وتعقلنا لادراك الموجودات كل ما في أذهاننا من أفكار وتصورات وذكريات دخل الى عقولنا عن طريق مشاعرنا. ولولا مشاعرنا لما كنا نفهم ونتفهم ونتعقل، ولكنا والجماد سواء ، ولا فرق الاّ في الحركة والحياة.

معقولاتنا من الخارج

إن قوانا العقلية ظهرت فينا من مفاعلة الظاهرات الطبيعية الخارجية لخلايات جهازنا العصبي ولا سيما الدماغي ، فسمينا هذه المفاعلات مدركات محسوسة Percepts ثم حدثت

تفاعلات بين هذه المدركات الاحساسية في خلايا دماغنا فسميناها مدركات ظنية أو تصورات concepts كالتعقل والتذكر، الخ، ثم حدثت تفاعلات بين هذه بعضها مع بعض فكانت تعقلات واستنتاجات وتعليلات فسميناها مدركات عقلية. كل هذه نشأت على التوالي من دخول المدركات الحسية الى الدماغ عن طريق الجهاز العصبي الذي هو آلة الابصار والسمع واللمس الخ. فالتعقل وتعقلاته المتنوعة مدينة بنشوئها ونموها وتمامها من أفضال على الجسم لهذا الجهاز العصبي وطواعيته للانفعال بأمواج الظاهرات الطبيعية — الامواج الكهرطيسية.

لا فكرة ولا صورة ولا خيال يصدر ابتداءً من داخل الدماغ. لا يصدر بالالهام ولا بالفطرة ولا بالبديهة بل من تلك التفاعلات الحسية. والوعي الكوني ان كان موجوداً فما هو من عمل العقل الداخلي وإنما هو من فعل خارجية الحواس التي تتلقط من العالم الخارجي مدركاته الحسية، وتسديه للمراكز الدماغية، وهذه تتصرف به بحسب قوانينها التطورية، وهذه تصدر الوعي، أو بالاحرى، الوجدان الكوني. إذاً فلا يستغني الوجدان عن الحس، ثم التعقل. كما أن هذين لا يستغنيان عن الجهاز العصبي والمراكز الدماغية. وهذا الجهاز هو الباب الشرعي لدخول العالم الخارجي الى عالمنا العقلي. فلا «وعي كوني» يصدر من داخلنا بمثل الالهام أو البديهة.

لا تظن أني بهذا القول أنكر الفطرة والغريزة والسجية والبديهة إلى غير هذه التي تتراءى لنا إنها من مواليد عالمنا الداخلي. بل بالعكس أؤكد أن هذه السجايا نشأت مع الزمان من طوارىء العالم الخارجي على الجهاز العصبي والدماغي المتوالية بلا انقطاع منذ ملايين السنين حتى صارت سجايا أو غرائز، فصارت تجاوب على الفور الطارىء الخارجي الأصيل الذي أنشأها. فالطفل يمتص حلمة ثدي أمه حالما تمس شفتاه به، لأنه منذ قديم الأزل كان ثدي الأم يطرأ على شفتي الطفل، وعلى تعادي التطور مع الدهور تمرنت عضلات شفتي الطفل على التحرك بمقتضى هذا الإحساس بالثدي والعمل بمقتضى الامتصاص. فصارت عضلات الطفل لا وظيفة لها الا الامتصاص. فلما أحست بالثدي اشتغلت وظيفتها. هذه هي الغريزة. وتسميتها غريزة أو فطرة وما إليهما إنما هو من هذا القبيل. وفي كل حال وكل حين هي استجابة الاحساس بالعوامل الخارجية.

فاذا كان ثمت وعي كوني فلا غنى له عن الحس العصبي والتعقل. وإذن فالشيء الموجود من غير بد هو «ما ندركه بالحس والعقل والبصيرة» وتفلسفنا الذي هو محض تعقل وتفكير واستنتاج، يرتكز على مدركاتنا الحسية. وهي المواد التي يصطنع منها التفلسف مصنوعاته — للتعقل والتخيل والاستدلال الخ. فاذا نزعت المدركات الحسية من

التفلسف تقرض صرح العقل والتعقل وانهارت الفلسفة . وسيأتي تفسير التلبثي Telepathy أي توارد الأفكار الذي نظن أنه وعي داخلي ناتج عن الإحساس الخارجي

ما قصر العقل

ولكي يثبت الأستاذ أن في المدركات ما لا يأتي الى دار العقل في الخارج أو عن طريق الحواس بل هو ضرب من الالهام أو خاصة من خصائص « الوعي الكوني » بحث أبحاثاً مستفيضة فيما سمّاه الملكات النفسانية وأهمها الشعور على البعد Telepathy والتنويم المغنطيسي وقراءة الأفكار واستطلاع الماضي والمستقبل وتحضير الأرواح والكشف عن عالم الغيب ، أي رؤية الأشياء غير المنظورة بقوة البصيرة العقلية بتأثير الأشعة المغنطيسية . وانما أراد أن يتوصل بهذا البحث الى أنّ في العقل البشري هاتفاً داخليًّا يهتف بوجود الله وهذا البحث اقتضاه أن يجول جولة تفتيش في دور الفلسفة ويطوف على الفلاسفة ينتقي من فلسفاتهم أسناداً لهذه القضية

فأرجو من الأستاذ أن يسمح لي أن أقول إن هذا الهاتف الداخلي لا يأتي من داخل الانسان ابتداءً بل يأتي من الله نفسه . هو هدًى باذن الله كما نصّ عليه القرآن الشريف . ولهذا لا يهتف في كل انسان بل في من اختارهم الله كما قال بولس الرسول . ذلك لأن جميع هذه الملكات النفسانية التي بحث فيها ، مهما تراءت محض عقلية ، إنما هي ثمرات المدركات الحسية . لا مناص لهذا الهاتف من الاعتماد على الاحساس عن طريق الجهاز العصبي ، وأحياناً بواسطة التشعشع الكهرطيسي كما هو الحال في الراديو الدماغي . فهو هاتف من الخارج لا من الداخل ، ولا غنى فيه عن وساطة المادة وحركاتها . فهو بدل أن يعتبر الى الخلجات الدماغية عن طريق الأعصاب يعبر احياناً إليها رأساً عن طريق الخلايا الصنوبرية التي هي المنطقة الوسطى من الدماغ ، كما علل الفلاسفة الذين أخذ الأستاذ عنهم .

تعرق العقل والمادة

يقول الأستاذ نقلاً عن « سنبل » الذي كان يعتقد بوجود العقل المجرد (يعني المجرّد من الحواس) : « ان الجسم الصنوبري هو الجهاز الموصل بين الروح والجسد ، أو هو موضع التلاقي بين حركة الفكر وحركة الأعضاء أو الأعصاب » .

وهنا طرق الأستاذ موضوعاً من أخطر الموضوعات في الفلسفة العقلية . ولكنّه لم يجُلّ فيه بل لمسه لمساً ومضى عنه . وهو اتصال الفكر (العقل) بمادة الدماغ : كيف يتصل العقل وهو غير مادّي بناتاً بخلايا الدماغ وهي مادّية : — هذا الموضوع حيّر علماء

العقل والفلاسفة من قديم الزمان الى اليوم . ومعظمهم لا كلهم ، خبطوا فيه خبط عشواء . وأكثرهم خبطاً الفيلسوف ديكارت .

كيف تؤثر رؤية الوحش الضاري في العقل فتثير فيه الخوف (وهو mental) والتفكير السريع في كيفية الخلاص ؟ وكيف يؤثر الإحساس بالمنظر الجميل أو الغناء المطرب في النفس (العقل) ويثير فيها عاطفة السرور ؟ كيف تؤثر ثورة الغضب في النفس حتى تمنع الانسان كلاماً جارحاً . ثم بالعكس كيف يؤثر العقل على الجسد فيحمله على الهرب من الوحش الضاري أو السعي الى مغنم أو القصد الى ملذة جسمانية أو التمتع بشهوة جسدية ، وكيف يجبر العقل الوجه أن يحمر خجلاً إذا كان الانسان قد أتى أمراً مخجلاً .

يقول الفيلسوف إن الشعور الحسي والعقل المتصرف بهذا الشعور يلتقيان في الجسم الصنوبري القائم في وسط الدماغ . وهناك يتبادلان الفاعلية والمفعولية ، أو انهما يتفاعلان ويؤثر كلٌ منهما على الآخر .

حسن . كيف يحدث هذا التفاعل بينهما وأحدهما مادي والآخر عقلي غير مادي ؟ كيف يؤثر العقل في المادة وحده به ؟

نحن نعلم ان المادة لا تتحرك إلا اذا حرَّكها محرِّك . ولا نعرف محركاً للمادة إلا المحرك المادي ، والمحرك المادي فقط ، حتى الأمواج الكهربائية التي هي ألطف المحركات هي حركات مادية .

العقل عالم قائم بذاته اذا صحَّ ان يقال ذاتاً Entity لا مادة فيه البتة . والدماغ عالم مادي بحت مستقل بطبيعته عن العقل . الطبيعتان مختلفتان كل الاختلاف . فكيف يتصلان ويؤثر كلٌ منهما في الآخر ؟ هنا موضع الحيرة .

اما خبطة ديكارت فعشواء حقاً . يقول ديكارت ما خواه : حقاً ان الله خلق العقل والجسد من طبيعتين مختلفتين . ولكنه جعل وظيفتيهما متماثلتين متوافقتين أي ان العقل مثلاً يخاف والجسد يهرب في وقت واحد . والعقل يغضب والجسد يضرب في وقت واحد ، كأنهما على ميعاد ولا اتصال بينهما . فهما كساعتين تحافظان معاً على وقت واحد وتتوافق تكتاكهما من غير اتصال بينهما . هكذا صنعهما الصانع . وهكذا صنع الله العقل ومادة الدماغ يعملان متوافقتين — هذه هي نظرية ديكارت . وهنا نترك للقارىء ان يزن هذا الرأي بميزان المقابلة بين المثلين .

وعقدة اتصال العقل بالجسد حملت التصوريين Idealists أن ينكروا وجود المادة بتاتاً ، ويزعموا ان ليس في الوجود إلا العقل فقط ، الذي هو فلذة من عقل الله .

وسيّد المتصوّرين هو المطران بركلي Berkly الفيلسوف فقد أبدع إبداع في برهنة الفلسفة التصورية ونفي الفلسفة الواقعية Realism . فهو يبرهن لك أنك غير موجود ماديًا. وما أنت إلا عقل فقط يتصور . وأن كل ما تراه من ظاهرات هذا الوجود من سماء وأرض وأجرام وأقوام إلخ. إنما هو من أعمال هذا العقل . والعجب العجاب الغريب أن بركلي يتمسك بهذه الفلسفة أو يتحمك على الأقل فلا تعرف كيف تسفه رأيه وكيف ترده .

مصدر العقل

لهذه العقدة الآن حل بديع وبه تُفسّر جميع الملكات النفسانية التي أشار اليها الأستاذ العقاد وقد ذكرتها آنفاً . تفسّر أبدع تفسير وبأوضح بيان .

العقدة آتية من اننا نعتقد ان العقل ذات Entity قائم بذاته مستقل عن الجسد ونظن انه غير مادي أي انه من طبيعة غير طبيعة الدماغ المادية . والحقيقة ليست هكذا .

فاذا صرفنا النظر عن ذاتية العقل وحسبنا العقل عملاً من أعمال خلايا الدماغ (الصنوبرية أو غير الصنوبرية) أو هو أهم وظيفة لهذه الخلايا بل هو وظيفتها الرئيسية في الأقنوم الانساني، انحلت العقدة حالاً .

العقل فعل لا ذاتية ، عمل لاشخصية . عمل خليات . كما أن الضحك مثلاً عمل من أعمال الفم لا ذاتية مختلفة عن الضاحك وكذلك المشي عمل من أعمال الماشي .

ليس هناك أقنوم قائم بذاته نسميه عقلاً ، بل هناك فعل أو عمل تعمله خلايا الدماغ المختلفة المراكز والوظائف كما هو معلوم فسيولوجيًا . والأرجح ان هذا العمل يحدث بنبضات كهربائية سريعة في الجهاز العصبي على نظام لا يزال مجهولاً في تفاصيله ولا بد ان يعرف في المستقبل .

وقد ثبت في الامتحان ان في الجهاز العصبي تياراً كهربائيًا دلّ عليه الدليل الكهربائي Galvanometer الحساس جدًا، وعرف المقياس قدر قوته . فلماذا لا يكون لهذا الجهاز العصبي العظيم الشأن تيار كهربائي ؟ أليس هو مؤلفاً من ذرات ؟ أليست الذرات مؤلفة من الكترونات ؟ أليست هذه بنبوع الكهرباء ؟

فلك ان تقول إن الحوادث العقلية أو الأفعال الفكرية هي فيض الخليات Emanations كالامواج التي تنبعث من العناصر النشيطة الاشعاع ، أو تشبه النور الذي يصدر من الجسم المنير ، أو هي كالموجات الكهرطيسية أو هي هذه الموجات بعينها. وهذا الموضوع بحث جدّ خطير لمن يشاء أن يبحث بحثاً فسيولوجيًا كهرطيسيًا في الخواص العقلية Mental وهو ما ليس في طوقي .

وفي رأي أحد العلماء أن الفلسفة العقلية يجب أن تكون قسماً من علم وظائف الاجسام « الفسيولوجيا ».

إن المحسوسات الخارجية من منظورات ومسموعات ومذوقات الخ ... تأتي الى أبواب الحواس بشكل أمواج كهربائية صادرة من هذه المحسوسات ، فتحرك خلايا الجهاز العصبي — مثل العصب البصري مثلا — فتتحرك بها كل خلية في العين حتى الشبكية . وفي رأي الفسيولوجيين أن لكل خلية زُغب حولها ، فتى تحركت الزغب في واحدة حركت الزغب التي لجاراتها . وهكذا تنتقل هذه الحركة من خلية الى خلية الى أن تصل الحركة الى الدماغ فتقبلها خلايا مراكزه المكونة بشكل يستجيب للحركة الواردة من عصب الحس الخاص دون غيرها من خلايا المراكز الاخرى . هكذا يقول الفسيولوجيون . ولماذا لا نقول إن التيار الكهربائي سرى في خلايا الأسلاك العصبية الى مراكز الدماغ — لا فرق بين النظريتين

وهناك تتفاعل خلايا المركز بعضها ببعض بحسب النظام العجيب الذي يهيمن عليها جميعاً . فاذا كانت الحركة المنتقلة صورة شجرة مثلاً تحركت الخلايا حركات تمثل هذه الصورة وتشيع في منطقة التصور المشتملة على ملايين من خلايا التصور . ثم تشترك هذه الخلايا في إبداء حركة الاعجاب أو الاستهجان . ثم تتحرك بها خلايا منطقة التعليل والاستنتاج بسبب هذا الاعجاب أو الاستهجان في الشجرة نفسها . وقد تمتد الخلايا سر نشوء الشجرة ونموها الى غير هذا . وهذا هو التفكير .

وكثيراً ما يُوقّع وضع بعض الخلايا أو أكثرها توقيعاً جديداً يدوم الى حين . وهذا هو التذكار . وكلما وردت هذه الصورة الى ذلك المركز تمكن الوضع . وقد يزداد عدد الخلايا الموقعة منه فتطول مدة التذكر وتتضح الصورة فيها أكثر فأكثر

ولا محل هنا ولا مقدرة لي على تفسير حركات هذه الخلايا التي تعد بالملايين . وهي مختلفة الفئات والوظائف بحسب مقتضى الأفعال والمستقبل كفيل باتساع علم الأفعال الدماغية التي تسمى الآن قوى عقلية .

وحاصل القول إن ما اسميه عقلاً إنما هو حركات هذه الخلايا الدماغية أو نبضاتها الكهربائية وتفاعلها بعضها مع بعض . فالتصوُّر والتخيُّل والتفكير والاستنتاج والتقاسف والتذكر والسرور والحب والعطف الخ ... كل هذه مفاعيل تلك الخلايا الدماغية العجيبة التي تعد بالملايين . وهي موزعة في أمم ودول وادارات عجيبة في المخ والمخيخ والحبل الشوكي الخ

وما دام الدماغ سليماً فهذه الأمم والدول الخلوية الدماغية والعصبية تعمل أعمالها بكل نشاط وإتقان وتوافق هذه الخلايا كسائر خلايا البدن جارية على سنة الحياة ، تدثر وتتجدد

Metabolism بالافراز والتغذية . ولذلك يطرأ عليها التعب أحياناً فيضعف نشاطها ونشاط العقل معها. وإذا طرأت عليها السموم كفعل الخمر أو المخدر أو نحوها انشلت فقد يختل عملها ويختل نظامه، وقد يبطل أو يتعطل الى حين كما يحدث في استعمال الكلوروفورم المخدر . وتمت لا يبقى ما نسميه عقلاً، حتى إذا زال فعل المخدر عادت الخلايا الى عملها وعاد العقل والتعقل. ومتى حدث الموت لا يبقى عقل لأن آلاته تعطلت، ولا يبقى بعد ذلك إلا التراب أو العناصر التي تألف الجسم منها .

وفيما أنت تلاحظ الطفل في غضون نموه تلاحظ جيداً كيف ينمو العقل معه بنمو دماغه، حتى إذا نضج الدماغ نضج العقل معه ، لأنه ليس الا من مفاعيل خلايا الدماغ .

أما وقد علمت أن العقل هو عمل لا ذات ، أي ليس أقنوماً قائماً بذاته ، سهل عليك جداً أن تعلل توارد الخواطر Telepathy بأن الحركات الخلوية — حركات خلايا الدماغ المختلفة — تصدر نبضات كهربائية مختلفة دائماً وهذه تنتشر في الفضاء كما تشعع ، وتصدم في طريقها ملايين الأدمغة وتحدث فيها حركات تضارع حركات الخلايا التي أصدرتها وتنقضي كلمح البرق فلا تقف الخلايا عندها . وكثيراً ما يقول شخص من الناس . « ما الذي أخطر هذا الخاطر ببالي الآن ؟ وما أنا على انتظار له ولا أنا في حاجة إليه ولا لي شأن به. ولكن إذا كان له شأن به كأنه وارد من دماغ قريب أو صديق فتنبه له خلايا دماغه وتتفاعل تفكيراً فيه — هذا هو التلبثي .

على هذا النحو يُفسَّر التنويم المغنطيسي والكشف ونحوهما . ولا تجد صعوبة في تفسيرها . وإنما تجد كل الصعوبة في تفسيرها اذا كنت تعتقد أن العقل ذات مستقل بطبيعته عن المادة ومحل الدماغ . واحتلاله له يحتاج الى تفسير هو أخو المستحيل .

الزمن

ثم ساق الموضوع الاستاذ الى البحث في الزمن لكي يرينا أن من مقتضيات « الوعي الكوني » انه يمكننا الاطلاع على المستقبل فيما نحن في الحاضر . فأتى على أوهامنا المختلفة بشأن صور الزمن فمثّله « كبحر يزداد قطرة كل لحظة ويمتلىء شيئاً فشيئاً ويبقى فيه فراغ المستقبل المعدوم . أو هو كمحيط شامل لما كان وما هو كائن وما سيكون . أو هو كخط ممتد والأوقات المتتابعة كالنقط المنطوية فيه . أو تتخيّل الزمن قابلاً للتجزئة وأجزاؤه محدودة ، فمجموع المحدود محدود . واذا كان الزمن أجزاء وكان محدوداً كأجزائه فقد بقي أمامنا الأبد الذي لا ماضي فيه ولا حاضر ولا مستقبل ولا ابتداء ولا انتهاء » — هذا هو قول الاستاذ .

وأخيراً يقول الأستاذ : « من الجائز ان المستقبل معدوم في الزمان المتقطع ، موجود في الأبد الذي ليس له انقطاع » ؟؟؟

« ومن الجائز أن يكون الزمن نفسه متعدد الأبعاد فينلاق فيه شيء من الحاضر وشيء من المستقبل في بعض تلك الأبعاد » ؟؟؟

« ومن الجائز ان المستقبل يكشف لعقل الانسان عن ايحاء العقل الأبدي المطلع كما يطلع على ما حصل وما هو حاصل بلا اختلاف . وقد جاز أن ينتقل علم من عقل انسان الى عقل انسان فيتطبع فيه بالتوجيه والايحاء كأنه منظور ومسموع . فلماذا لا يجوز ان تنتقل وقائع المستقبل الى علم الانسان الحاضر من العقل الأبدي . وهل نستطيع أن نقرر وجود العقل الأبدي دون أن نقرر إنه مطلع على كل الأبد الابيد » ؟؟؟

« فالذي يجزم باستحالة الاطلاع على المستقبل عليه أولاً ان يجزم بالصورة الصحيحة للزمن ، ويجزم بأنها لا توافق الاعتراف بوجود المستقبل على وجه من الوجوه .

« وعليه ثانياً ان يجزم باستحالة العقل الأبدي واستحالة الايحاء منه الى العقول الانسانية »

« وعليه أن يقيم الدليل على هذا المستحيل أو ذاك المستحيل ولا دليل » — انتهى كلام الأستاذ

فما الذي نفهمه من هذه الجوازات المختلفة في موضوع واحد هو الزمن . أبنتُ آنفاً ان العقل هو عمل خليات الدماغ . فما هو العقل الأبدي ؟ هل هو من هذا النوع وكيف يكون ؟

اما عن الزمن فليس على القارىء ان يُمعنت ذهنه في تفهم هذا الشرح الذي شرحه الأستاذ وهو متعدد الجوازات وليس على الأستاذ ان يجهد عقله في تبيان ماهية الزمن لأنه :-

ليس للزمن وجود بتاتاً . لا هو ذات ولا هو عرض . ما هو بشيء سوى عبارة عن حركات الحوادث الكونية المتتابعة . ليس في الكون غير مادة متحركة والزمن هو مقياس حركة المادة . فاذا فرضنا ان «ماكينة» حوادث الكون Machine تعطّلت انقطع دابر الزمن . والذين يقولون دار الزمن دورته أو دار دولاب الزمن لم يخبثوا وان كانوا لا يعلمون (أو يعلم بعضهم) معنى هذا القول الذي هو تتابع حركات العوالم . فالزمن هو مقياس الحركة . ومتى دارت الكرة الأرضية دورة على محورها تقول مضى من الزمن ٢٤ ساعة ، تعني مرّ كذا وكذا من الحوادث المتتابعة . ومتى أتمت دورتها حول الشمس قلنا مضى من الزمن سنة . وما مضى إلاّ حوادث السنة .

اذا بطل دوران الأفلاك جميعاً وبطلت الحوادث التي تنجم عن هذا الدوران لا يبقى ما يقال له زمن. فعلامَ اجهاد الفكر في تبيان ماهية الزمن وهو أمر بسيط واضح.

أما الماضي فهو الحوادث التي تعاقبت. وأما المستقبل فهو الحوادث المتعاقبة المنتظرة. وأما الحاضر فلا معنى له سوى أنه الحد الوهمي الفاصل بين الماضي والمستقبل.

لولا حركة المادة لما كان زمان.

وكذلك لولا وجود المادة لما كان مكان.

فوجود المادة خلق المكان. وحدوث حركة المادة خلق الزمان.

تصور جميع أجرام السماء وذرات الأرض غير موجودة فكيف يتراءى لك المكان — الحيّز الذي كانت المادة تشغله — ألا يهولك العدم المطلق؟ وما هو العدم المطلق؟ هو اللاشيء. فالمكان اذاً لا شيء. هو العدم، غير موجود. لماذا؟ لأن المادة تجعل للمكان حدوداً. فاذا زالت المادة زالت الحدود فكيف تتوهم المكان بلا حدود.؟

نوجز القول: المادة أوجدت المكان، وحركتها أوجدت الزمان. فالمكان والزمان، لولا المادة وحركتها، هما عدمان.

حين نقطع الزمن الى أزمنة وفترات أو أوقات أو قرون أو عصور أو دهور فكون قد جعلنا حدوداً أو فواصل للحوادث المتعاقبة. وإذا قلنا الألف سنة الماضية عنينا الحوادث التي توالت في الألف سنة الماضية — الألف دورة التي دارتها الأرض حول الشمس.

وإذا قلنا المستقبل عنينا الحوادث المجهولة التي ستحدث في المستقبل. وإذا جئنا نتنبأ عن المستقبل فلا يمكننا أن نتنبأ إلاّ عن حوادث نعلم انها لا بد أن تحدث من جراء انها دورية كقولك في المساء «غداً صباحاً ستشرق الشمس». فلا نبأ لنا عن حوادث المستقبل إلاّ ما نتوقعه منها بناء على تواتر مثلها في الماضي من الحوادث الدورية.

ومع ذلك لا يتجدد دور كالدور الذي سبقه تماماً. لا بد من اختلاف ولو طفيف بسبب تضارب الحركات الكونية. فليس إذن تحت عقل أبدي يوحّي لنا ما سيكون في المستقبل غير ما نتوقعه منه بناء على وحي دوران دولاب الزمن كما خبرناه في الماضي. هو مقايسة المستقبل على الماضي مقايسة غير دقيقة. لأن هذا الدولاب يختلف كل دورة عن أخرى، وكل ما هو تحت الشمس جديد. ولا قدرة لنا على ضبط ذلك القياس.

للقارىء أن يطلع على فصل «الزمكان» في كتابي «هندسة الكون على أساس النسبية» الذي صدر من ادارة المقتطف في يوليو سنة ١٩٣٧ فيجد بحثاً طريفاً واضحاً في الزمان والمكان اللذين أجملتهما في كلمة «الزمكان».

لا ريب أن الماضي ينطوي على ممكنات حوادث المستقبل كما تنطوي البذرة على أغصان الشجرة وأوراقها وثمارها . ولكن من يستطيع أن يتخيل شكل الشجرة قبل أن تفرخ البذرة وتنمو الى أغصان فورق فثمر . جل ما نستطيع أن نتنبأ به عن مستقبل البذرة أنها ستكون شجرة ويكون ثمرها من جنسها . فبذرة اللوزة يكون ثمرها لوزاً . فحوادث المستقبل ليس في طوق العقل البشري أن يتنبأ بها ولا سيما لأن سيل الحوادث لا تعد ولا تحصى. وكثيراً ما تكون متقاطعة وقليلاً تكون متوازية . ونتائج القوى المتقاطعة أو المتعامدة تخالف اتجاهاتها كما هو معلوم في علم الطبيعة . المستقبل مطوي في الماضي، ولا نفهم كيف ينشر هذا المطوي .

إذا تمادينا في هذا البحث دخلنا في موضوع القدرية والجبرية والاضطرار والاختيار . وهو موضوع كتاب لا موضوع مقال . وجل ما يمكن أن نقوله أن المصادفة غير موجودة في حوادث الكون . لكل حادث سبب أو أسباب . ولكن ليس في طوقنا أن نعرف سلاسل الأسباب . وقد نعرف المباشر منها ونجهل الحلقات التي قبله من السلسلة .

هل الله عقل

بعض الفلاسفة الذين أورد الأستاذ العقاد فلسفتهم يرتأون أن الله « عقل » . ومنهم من يعتقدون أن العقول تسلسلت منه . ومنهم من لا يقولون هذا . والذي يحملهم على هذا القول هو أن هذا الكون مسير بحكمة وارادة، فلابد أن يكون مسيره عاقلاً ومريداً وحرًّا

وهنا لا بد أن يقوم أمامنا هذا السؤال : هل عقل الله من طبيعة عقلنا ولا فرق الا بالكمية والقدرة ، أو انه من طبيعة أخرى نجهلها ؟

إن قلنا إنه من طبيعة عقلنا فقد أنزلناه من مقامه وحددنا قدرته وثلمنا حريته واختياره لأن عقلنا غير مختار إلا في دائرة أضيق من سم الخياط وهي حرية وهمية . وحينئذ نكون قد جعلناه كما جعله موسى « يهوه » رب الجنود . ويهوه كان الهاً ومن حوله آلهة آخرون ولكنه أعظم منهم جدًّا وإله كهذا لا يصلح أن يكون مدبراً للكون .

وان قلنا إن عقل الله ليس من نوع العقول البشرية بتاتاً لا بالكيفية ولا بالكمية فماذا هو إذن ؟ — لا نعلم . ولذلك يجب أن نلغي تسمية الله بالعقل ونبحث عن كلمة أخرى تصلح لقباً لله . واذا قررنا في عقلنا وعقولنا أن هذا الذي نسميه الله قدير حكيم مريد مدبر لا نجد أفضل من كلمة « القوة القصوى » أو « قوة القوى » لقباً لله . لأن الكون لا يتحرك حركاته المعلومة الا بقوة فائقة هي مصدر جميع القوى التي لشاهدها فيه . ثم

ان حركات الأفلاك والأرضين سائرة بنظام لايختل ولا تشوبه فوضى ولا تردد ولا توقف، بدليل اننا نعرف بعض حركاته وقوانينها ونحسب حساباتها ونعرف تواليها كما نعرف مواضيها « معرفة جزئية » وهذه هي حكمة الادارة والتدبير . وكلما توغلنا في استقصاء حركات الأكوان متتبعين خيوط القوى التي تحركها وتفقدنا قوانينها دنونا رويداً الى القوة القصوى التي تسلسلت منها القوى المحركة للأجرام الفلكية والكتل الأرضية وذرات المادة وكهاربها وصورشاتها — هي قوة الجاذبية العجيبة . فاذا لم تكن هذه القوة العظمى هي الله فالله مستتر عنا بها وهي بيده (مجازاً) يشغلها . فهي النظام الذي وضعه الله وبه يدير هذه الأكوان بحكمة فائقة بلا فوضى ولا خلل ولا تردد ولا توقف — هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فبالجاذبية يمكننا أن نقول إن الله قدير وحكيم ومدبّر وموجود في كل مكان وكل زمان .

ليس هذا القول ببعيد عن فلسفة ارسطو وأفلاطون اللذين أخذا عن سقراط أستاذهما . وهي أن الله موجود مع هذا الكون يديره ويديره . هما موجودان معاً منذ الأزل . فلا الله أخلق الكون، لاستحالة الخلق من العدم ، ولا الكون أنتج الله . وإذا كان الله واجب الوجود لكي يخلق الكون فلماذا لا نقول أنّ الله والكون واجبا الوجود تملصاً من استحالة الخلق من العدم ومن سلسلة الخالق والمخلوق التي لا تنتهي .

الله فوق العقل والله هو قوّة القوى وبيده النظام الشامل المنزه عن الغرض .

الروح

وقد وردت كلة روح في كثير من أقوال الفلاسفة الذين أخذ الاعتقاد عنهم . وليس في أقوالهم ما نفهم منه ما هي الروح . هي في أقوالهم كلة غامضة أو تكاد تكون بلا معنى أو هي ذات معان مختلفة . وشأنها عندنا الآن ان الله في عرف النصارى والمسلمين (لا الاسرائيليين) روح أزلي خالق كل شيء وقادر على كل شيء وعالم بكل شيء وموجود في كل زمان ومكان .

واذا سألت ما هي الروح قيل لك هي غير المادة . فما معنى غير المادة . هل رأيت غموضاً كهذا ؟

ويحاول بعضهم ان يفسر لك الروح تفسيرات تؤدي بك الى الظن إنها العقل بعينه لأنها تحمل الأفكار والذكريات معها الى الأبدية . ونحن نعلم بالاختبار ان العقل من مفاعيل

المادة الدماغية ، أو أنه يقيم في الدماغ في رأي من يحسب العقل ذاتاً مستقلة . وفي كلتا الحالتين نعلم جيداً إنه إذا تعطل الدماغ ذهب العقل بتاتاً . وإذا عاد الدماغ الى عمله المستقيم عاد العقل الى عمله . واذا كان العقل ذاتاً قائماً بنفسه فأين كان في مدة عطلة الدماغ . ولماذا لا يبقى ذا وجدان يدرك نفسه في حالة غيبوبته في غضون التخدير والنوم أو المرض العصبي (الجنون) . ولماذا يبطل عمله بتاتاً وتنتفي ذكراه وينفى وعيه ؟

فاذا كانت الروح هي العقل أو ان العقل مطيتها : فاذا ذهب العقل ذهبت الروح . وان انفصلت عنه فلا تصحبها ذكرياته وأفكاره لأن هذه من خصائصه وليس للروح يد فيها . فاذن الروح عارضة تفنى وتزول فلا يمكن أن يكون الله روحاً بهذا المعنى . بأي معنى إذن ؟

ويحاول بعضهم أن يفسر الروح لك تفسيرات تؤدي بك الى الظن بأنها الحياة ، ونحن نعلم أن الحياة ولادة ونمو وموت . ولا يبقى بعد الموت غير وجه ربي ذي الجلال . فلا يمكن أن يكون الله روحاً بهذا المعنى . وإذن فما هي الروح ؟

وأما أنا فأعلم كما يعلم جميع الناس أن لي ثلاث ظاهرات لا رابع لها وهي : أولاً جسد مؤلف من عناصر ترابية . ثم ثانياً حياة ذات ثلاث ظاهرات : ولادة ونمو وموت . وثالثاً عقل يتصور ويتذكر ويستدل الخ . هذه ثلاثة أمور أعرفها فيّ جيداً ولا أقدر أن أنكرها . ولكني مهما تطلعت حولي وفتشت وتحسست فلا أجد شيئاً رابعاً . وان صدقت شيئاً آخر فلا ألبث أن أجد أنه داخل في أحد تلك الظاهرات الثلاث .

شيء رابع اسمه الروح لا يدور في خلدي ولا أحس به ولا أعرف فيّ شيئاً كهذا ، وكيف أعرف وليس لهذا الشيء شخصية تميزه عن سائر الشخصيات — « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » .

وقد تقول لي : لا يحق أن تنكر الروح إذا كنت لا تعرف ما هي . فأقول لك : أليس عليك أن تعين الشيء الذي تطلب مني الاعتراف به . ما هو ؟ ما الذي تطلب مني أن اعترف به ؟ أنت تدعي وجود شيء لا تعرفه . عليك الاثبات وعليّ بعد ذلك الايمان .

لذلك لا يصح تسمية الله بالروح لئلا تلتبس بروح الانسان التي لا نعرف ما هي . وإن كانت الروح تسمية خاصة بالله فيجب أن لا تنسب الحي لئلا يشترك الانسان مع الله بها .

وحاشا لله ان يكون له شريك .

نقولا الحداد